المبحث الرَّابع:

العدوان

يمثل العدوان ظاهرة سلوكية مهمة في حياة الأفراد، فهو ملاحظ ومعروف في سلوك الإنسان السوي وغير السوي، وفي سلوك الطفل الصغير والراشد الكبير.

والعدوان مفهوم غامض، تتعدد معانيه وتتداخل العوامل التي تمهد له، وتتنوع النظريات المفسرة لماهيته، من هنا اختلفت الرؤى والتفسيرات، التي حاولت تحديد مصادره ووسائله وغاياته ونتائجه... فهل العدوان مرفوض بشتى صوره وأشكاله؟ أم أنه سلوك طبيعي له وظيفة؟ وهل العدوان سلوك متعلم يمكن التحكم فيه وتوجيهه؟ أم هو استعداد فطري فسيولوجي عصبي ينشأ تلقائيًّا من داخل الإنسان؟

... على أن علماء "التربية" EDUCATION "وعلم النفس" PSYCHOLOGY وعلى رأسهم "سيجموند فرويد" (Sigmund Freud)، ويؤكدون أن للعدوان جانبين أساسيين:

❖ **الجانب الأول:** هو الجانب السوي (NORMAL) البناء الذي يستخدم "كميكانزم دفاعي" (DEFENCE MECHANISM) درءًا للأخطار، التي تهدد الإنسان من أجل الحياة، والحفاظ على الذات، وتحقيق الوجود، ومقاومة الظلم، والتطلع إلى الحرية.

❖ **الجانب الثاني:** هو الجانب "غير السوي" (ABNORMAL) الهدام الذي يستخدم - عن وعي أو غير وعي - كسلاح يعمل لصالح الاعتداء والتخريب والتدمير والفناء؛ بالنسبة للإنسان أو بالنسبة للبيئة الذي يعيش في كنفها على حدٍ سواء.

من هنا كان اهتمام الباحثين في مجلات العلوم الإنسانية - بصفة عامة - وعلماء التربية وعلم النفس - بصفة خاصة - بظاهرتي العدوان والعدوانية..

وهو ما سنحاول إلقاء الضوء عليه لاستجلاء معالمه، واستبيان نتائجه، وتتبع مراحل تطوره.. حتى نخلص إلى وضع أسس الوقاية والعلاج؛ كي نقي أطفالنا الصغار مغبة الأساليب السلوكية العدوانية المرضية.

تعريف العدوان:

يُستَخْدَمُ مفهوم العدوان "AGGRESSION" في علم النفس وحقوله المختلفة؛ للدلالة على استجابة يردُّ بها المرء على الخيبة، والإحباط، والحرمان، وذلك بأن يهاجم مصدر الخيبة أو بديلاً عنه.

ويُعَرِّف "باص Buss" العدوان على أنه: "سلوك يصدره الفرد لفظيًّا أو بدنيًّا أو ماديًّا، صريحًا أو ضمنيًّا، مباشرًا أو غير مباشرٍ، ناشطًا أو سلبيًّا، ويترتب على هذا السلوك إلحاق أذى بدني أو مادي أو نقص للشخص نفسه صاحب السلوك، أو للآخرين".

ويعَرِّفه "بركوتز Berkowitz" بأنه: "السلوك الذي يهدف إلى إلحاق الأذى ببعض الأشخاص والموضوعات".

وعَرَّفه "برترام Bertram" بأنه: "السلوك الذي يصدر عن فرد أو جماعة من الأفراد بقصد إيذاء الآخرين".

ويُعرَّف "روبرت سيرز Robert Sears" العدوان بأنه: "حدثٌ يقصد فيه الطفل عمدًا إيذاء شخص آخر أو شيء آخر، ولهذا يعتبر ضرب اللُّعبة دون قصد ليس عدوانًا، ونحن لا يمكننا مشاهدة القصد والغاية بطريقة مباشرة، ولكننا نلاحظ الموقف الفعلي، ثم نحاول تخمين القصد والغاية وفقًا لما شاهدنا".

ويرى "عبد الله سالمان إبراهيم" و"محمد نبيل عبد الحميد" أنَّ "العداونيَّة"

AGGRSSIVENESS مصطلح يتضمَّن ثلاثة مفاهيم أساسية، هي:

❖ العـدوان **AGGRESSION**، ويقصـد بـه الهجـوم الصـريح علـى الغـير أو الذَّات، ويأخذ الشكل البدني أو اللفظي أو التهجُّم (العدوان الصريح).

❖ **العدوانيَّة HOSTILITY**، ويقصد به ما يحرك العدوان وينشطه ويتضمَّن: الغضب والكراهيَّة والحِقْد والشَّك، وهو ما يسمى بالعدوان المضْمَر أو الخفي.

❖ **الميل للعدوان {نزعة عدوانيَّة} AGGRESSIVTY**، ويقصد به ما يوجه العدائيّة؛ أي إنه حلقة تربط بين العدائيَّة كمحرك والعدوانيّة كسلوكٍ فعلي.

العدوان فطري أم مكتسب؟

غرس أصحاب نظرية التحليل النفسي THE PSYCHOANLYTIC THEORY مفهـوم العـدوان علـى أسـاس أنـه طبيعـةٌ فطريَّـة في التكـوين الإنسـاني، وأنـه بالتـالي لـيس مكتسـبًا، معترفـين بـأن أسـاليب التربيـة والتنشـئة الاجتماعية تسهم بدرجات متعددٍّة في مدى كبر حجم هذه العدوانيَّة أو صغرها ، وهم يرون أن إمعان الطفل العدواني في سلوكه إنّما يرجع إلى استخدام الأساليب الخاطئة في تقويمه كتوجيه اللَّوم الشديد إليه، أو عقابه بالضرب ، وعلى ذلك فقد ذهب أصحاب هذه النظرية في تحديد مفهوم العدوان إلى أنه سلوك واعٍ شعوري، وأنه كذلك مجموع المشاعر والدوافع، التي تتضمن عنصر التدمير، ويعتبره البعض أنه النشاط التخريبي نتيجة الميل الطبيعي للاعتداء والتشاجر. وهذه المفاهيم تشير إلى أن العدوان استعداد فطري ناشىء عن مصدر ثابت للطاقة يصعب استئصاله، ولكن يمكن استخدامه وتوجيهه في الاتجاه الإيجابي أو السلبي، ولذلك دعا بعض علماء النفس إلى التسامي بالعدوان كميكانزم، للإسهام في بناء المسيرة التطوُّرية للإنسان.

وعند معرفة الأسباب التي تؤدي إلى العدوان، نستطيع أن نتبين أن العدوان ليس مكونًا طبيعيًا في فطرة الإنسان ، حيث أن معظم هذه الأسباب ترجع

إلى البيئة التي يعيش بكنفها الطفل، فالله سبحانه وتعالى لم يستخلف في الأرض مخلوقًا، نسب إليه نمو هذا الكون وتطويره، ويكون ذا طبيعة عدوانيَّة؛ ذلك لأن العدوان لا ينجم عنه إلاَّ التخريب والدمار.

ومع تسليمنا بصحة وجود تلك الطاقة أو الدوافع الكامنة في التكوين الطبيعي للإنسان، والتي يُطْلَقُ عليها "العدوان" فإن الله عز وجل قد أوجد هذه الطاقة في الإنسان بهدف المحافظة على ذات الإنسان، وليس للاعتداء أو العدوان على ذوات الآخرين، وفرقٌ كبيرٌ بين أن ننظر إلى تلك الطاقة أو الدوافع على أنها موجودة للعدوان، أو أنها وُجِدَت للحفاظ على ذات الإنسان.

أشكال العدوان:

يقسم العدوان من الناحية الشرعية إلى ثلاثة أقسام، هي:

أولاً: عدوان اجتماعي: ANTI-SOCIAL AGGRESSION

وتشمل الأفعال العدوانيَّة التي يظلم بها الانسان ذاته، أو غيره وتؤدي إلى فساد المجتمع، وهي الأفعال التي فيها تعد على الكليات الخمس، وهي: النفس والمال والعرض والعقل والدين.

ثانيًا: عدوان إلزام: PRO – SOCIAL AGGRESSION

ويشمل الأفعال التي يجب على الشخص القيام بها لردِّ الظلم والدفاع عن النفس والوطن والدين.

ثالثا : عدوان مباح :SANCTIONED AGGRESSION

ويشمل الأفعال التي يحق للإنسان الإتيان بها قصاصًا، ممن اعتدى عليه في نفسه أو ماله أو عرضه أو دينه أو وطنه.

... كما يقسم العدوان أيضًا إلى: العدوان الكُرْهي، والعدوان الوسيلي؛ فالعدوان الكرهي هو الذي يوجَّه نحو الآخرين وتصحبه مشاعر الغضب، أما العدوان الوسيلي فهو الذي يتفجَّر عن صنح شيء أو بلوغه، وهو غير شخصي

على الرَّغم من احتمال تعرض الآخرين لآثاره، وقد بينت دراستي "داوز" عام ١٩٣٤، و"هارتوب" عام ١٩٧٤ عن أن عدوانيَّة طفل ما قبل المدرسة وسيليَّة، وأن هذا العدوان الوسيلي يحتفي بصورة تدريجية، منذ العام الثاني للطفل وحتى العام الخامس، كما بيَّنت الدراستان أن اضمحلال العدوان الوسيلي يترافق بتصاعد العدوان الكُرْهي، وأن كلا الاتجاهين يستمرُّ حتى الطفولة الوسطى للطفل، وذلك إضافة إلى انخفاض العداون لدى أبناء السادسة والسابعة، عما هو عليه لدى أبناء ما قبل المدرسة الذين يبدون مقدارًا كبيرًا من العدوان الكُرهي.

صور التعبير عن العدوان:

تختلف صور التعبير عن العدوان باختلاف السِّن والثقافة، فضلاً عن أسلوب التربية والتنشئة والتكوين النفسي والنمط الخلقي الذي نشأ عليه الفرد، والتعبير عن العدوان، يتمثَّل في صور جسميَّة عديدة، منها: المشاعر العدوانيَّة التي تظهر من خلال قسمات الوجه كالتجهُّم والعبوس واحمرار الوجه، وكذلك بالنظرات الغاضبة عن طريق العيون، أو باستخدام الفم عن طريق العضِّ أو البصق وإصدار أصوات الزراية والاحتقار والاستنكار، وباليدين والقدمين فيلوح الغاضب بالثأر والتهديد والانتقام، فضلاً عن استخدامها بالفعل في الإيذاء بالضرب والخنق والركل، كما تأتي عن طريق الجسم كله بالارتماء على الأرض والرفس والتشنج والإغماء، سواء عند الصِّغار أو الكبار.

وقد يتمثَّل التعبير عن العدوان في صور لفظية متمثلاً في: الصياح والصراخ؛ خاصة في الطفولة، كما تتمثل في الألفاظ الجارحة والسباب والبذاءة في القول، وكذلك في السخرية والتهكُّم وإطلاق النكات.

ومن صور التعبير عن العدوان أيضًا: التمرُّد والعصيان والمخالفة والعناد والتحدِّي والتخلُّف والتدهور والفشل في العمل، وتظهر واضحة في الطفولة كعدوان عقابي لمن يهمهم أمر نجاح الطفل. كما أن الإهمال صورة سلبية

للعدوان؛ حيث يعبِّر عن اللامبالاة وعدم الاكتراث بالآخر أو بالموضوع؛ أي عدم الاهتمام بحاجاته وإشباع رغباته، كما يتضمن التحقير من شأنه والازدراء به؛ حيث يقتضي الأمر عكس ذلك، فالوالد الذي يُهْمِل حاجات طفله ولا يستمع إليه عدوان يولد عدوانًا في نفس الطفل، قد يعبر عنه الطفل بعدوان مماثل في إهمال دروسه، أو بالعناد والمخالفة أو بالتخريب.

مظاهر السلوك العدواني:

معظم الأطفال يظهرون عدوانيّة بشكلٍ أو بآخر، وفي أوقات متغايرة، ولعلَّ من أهم مظاهرها ما يلي:

❖ بعض الأطفال يكشفون من العدوانيّة في لغتهم كالتلفُّظ بالسباب، أو الصُّراخ، أو الكلام، أو الاستياء، مثل: "أنا لا أحبك"، و"أنا أكرهك"، فهو تعبير يدلُّ على رفض الآخرين وعدم قبولهم.

❖ كذلك تظهر العدوانيَّة في الافعال العلنية، التي يقوم بها الأطفال بالاعتداء على الغير بالضرب، أو الدَّفع، أو الرَّكل، أو الطَّعن، أو التشاجر، أو التخريب، أو بأي نوع من أساليب الإيذاء، التي يستخدمها الأطفال مع بعضهم كتمزيق الكتب أو الكراسات أو إخفائها، أو تحطيم الأقلام أو إبدالها.

❖ والعدوانيَّة كثيرًا ما تتجه نحو الممتلكات، مثل: خدش الأدراج، أو الكتابة عليها، أو الكتابة على الجدران. وفي هذا يبدو أن الأطفال العدوانيين ينفذّون ما يشبه خطة موضوعة لإتلاف ممتلكات المدرسة أو ممتلكاتهم الخاصة أو ممتلكات الغير.

❖ وبعض الأطفال يلطخون ملابسهم أو ملابس الآخرين، أو أشياء تخصهم مثل اللُّعب والأدوات. إن حركات بعض الأطفال العدوانيين يمكن أن توصف بأنها سريعة حاسمة مهتزَّة، وأحيانًا وبغير سبب واضح ينتزعون من الأطفال الآخرين أشياءهم.

❖ والأطفال العدوانيون في علاقتهم مع المُعلّمين يَظْهَرون أحيانًا بمظهر التدنّي، وعدم الحياء، ويظهر بعضهم بمظهر التحدِّي فيميلون إلى المشاحنة والاعتداء.

تطور مشاعر العدوان عند الأطفال:

أولاً: العدوان في مرحلة الرَّضاعة (من الولادة حتى نهاية العام الثاني):

تعتبر السنة الأولى من حياة الطفل فترة نمو حَرِجَة؛ فالطفل يبدأ حياته وهو مزوَّد بالشيء القليل من الاستجابات الانفعاليَّة EMOTIONAL للإشارات، التي تصدر عن غيره من الناس. ومن الصعب تحديد العُمْر الذي تبدأ فيه النزعات العدوانيَّة في الظهور لدى الطفل، ولكن على كل حال يظهر العدوان لدى الطفل في مرحلة مبكّرة من النمو؛ حيث يبدأ الرضيع INFANT بعض ثدي الأم حين تظهر أسنانه، وهو سلوك قد يكون غير مقصودٍ أو ناتجًا عن إحباط نقص اللبن، وخلال العام الأول تكون لدى الرضيع وسائل تعبيرية للغضب كالبكاء أو الصراخ؛ لأنه لا يستطيع أن يستخدم وسائل رمزية مقنعة، أو أساليب عقلية مجرَّدة.

والطفل عندما يقترب من نهاية عامة الأول، يحاول أن يجرب إيذاء الآخرين فعندما يغضب من أمِّه نجده يحدق فيها بنظرةٍ خانقة، وقد يشد شعرها، والأمُّ الواعية هي التي تُذكّر طفلها بأنها لا تحب منه هذا السلوك، على حين أن أمًّا أخرى تدع طفلها يجذب شعرها، ثم لا تفعل شيئًا سوى أن تلوم الطفل، أو تتظاهر بالبكاء، فيعود الطفل إلى تكرار فعلته الأولى بطريقةٍ أعنف.

ويمكن تلخيص مظاهر الغضب عند الطفل في تلك المرحلة، على النحو التالي:

❖ **منذ الميلاد وحتى اثني عشر شهرًا:** صراخ وبكاء عالٍ مشوب بالغضب، وضرب الأذرع والأرجل.

❖ **في سن خمسة عشر شهرًا:** يقذف بالأشياء، وأهم ما يستثير غضبه التدخل في مناشطه الجسمانيَّة .

❖ **في سن ثمانية عشر شهرًا:** انفجارات في الغضب، يصرخ ويبكي ويطرح نفسه أرضًا، ويضرب ويرفس، ويدمِّر الأشياء في غير انتباه ولا قصد، خشن وعنيف مع الأطفال أو الحيوانات.

❖ **في سن الحادي والعشرين شهرًا:** يشتَّد الشعر، صراخ وبكاء حاد، يصرخ ويبكي لعجزه عن التعبير عن الكلام عن رغباته، التي كثيرًا ما تكون طلبًا لتكرار أشياء معينة.

ثانيًا: العدوان في مرحلة الطفولة المبكرة (من عامين إلى ستة أعوام):

ينشأ العدوان في هذه المرحلة حين يكتشف الطفل أنه يستطيع أن يجعل الآخرين يسايرون رغباته؛ أي إنه يحصل على الإثابة من البيئة الاجتماعيَّة، بالإيذاء، وعلى ذلك تتحدد أنواع الأساليب التي يتعلمها الطفل بنوع الاستجابات، التي تصدر عن الوالدين وغيرهما.

ويمكن تلخيص مظاهر العدوان وتطوره عند الطفل في تلك المرحلة، على النحو التالي:

❖ **في سن عامين:** يضرب الطفل غيره من الأطفال، ويشترك في مجاذبة الأشياء وشدها، يفسد نظام البيت ولا يدمِّر الأشياء. وقد يرغب الطفل في العضِّ كأُسلوب أولي في الهجوم والدفاع عن نفسه.

❖ **في سن عامين ونصف:** يهاجم غيره من الأطفال في عدوان وتعمُّد للإيذاء فيضرب ويرفس، شديد التدمير للأشياء وخاصة لطلاء الجدران، "يخطف" الأشياء من الآخرين.

❖ **في سن ثلاث أعوام:** تكثر لديهم نوبات الغضب حيث يدفعون الآخرين ويضربونهم أثناء هذه النوبات، كما تظهر لديهم مظاهر أخرى كضرب الأرض بالقدمين والقفز والارتماء بالجسم على الأرض، ويصاحب ذلك بكاءٌ وصراخ.

❖ **في سن أربعة أعوام:** قد نجد الطفل يلجأ إلى الاحتجاج اللفظي، بدلاً من الهجوم على الفور، والأهم من ذلك هو أن المشاعر العدوانيَّة تتخذ مظهر اللَّعب، فيمثل الطفل دور المارد الذي يحطم المكعبات الخشبية، أو يمثل رجل الشرطة الذي يطارد اللّص. ويتمثل العدوان الجسماني في العضّ والضَّرب والرَّفس، ويتمثل العدوان الكلامي في السب، المباهاة، والتعيير.

❖ **فى سن خمسة أعوام:** قد يضرب الأرض بقدميه، ويصفق الباب بشدة، يسبّ ويلعن، يأتي بأساليب كلامية كالتهديدات مثلاً بقوله: "سأضربك"، ويقاوم التوجيهات بقوله: "لن أفعل هذا".

... ويلاحظ أن المرحلة بين الرابعة والسادسة هي الفترة، التي يتعامل فيها غالبية الأطفال معاملة طيبة نسبيًا مع آبائهم وأمهاتهم، حيث تتملَّكهم رغبة جارفة في أن يكونوا مثلهم مع أنه تظهر منافسة خفيَّة، فالابن يتعلق بأمه عن طريق اللاَّوعي، وهي ما نطلق عليها {عقدة أوديب} "OEDIPUS COMPLEX"؛ والابنة تتعلق بوالدها، وهي ما نطلق عليها {عقدة إلكترا} "ELECTRA COMPLEX" وتسفر عنها الشعور بالعداء نحو الأم. لكن هذا الشعور بالمنافسة الخفيَّة الذي يكنه الأبناء للآباء بسبب هاتين العقدتين ينتهي بالتوحُّد (الولد مع أبيه والفتاة مع أمها) والتوحُّد هنا يشمل اعتناق قيم النموذج واتجاهاته.

❖ **ثالثًا: العدوان في مرحلة الطفولة المتأخرة (من ستة أعوام إلى اثنى عشر عامًا):**

ما أن يبلغ الأطفال سن السادسة حتى يكونوا قد تكَّون لديهم ضمير رادع لسلوكهم العدواني؛ أي يكون قد نشأت في أذهانهم أفكار عن الخير والشر، فضلاً عن اكتساب قدر طيب من الضبط الذاتي التي تجعله يحاول قمع النوازع التي يحس أنها خاطئة. إن الطفل في هذه المرحلة قد يحمل في أعماقه شعورًا

بالعداء، ولكنه لا يشتبك مع الآخرين إلاَّ حينما يستفزه خصمه؛ كي يدفعه إلى هجومٍ مضاد، ممَّا يحمل الطفل على الاعتقاد بأنه إنما يدافع عن حقوقه وكيانه.

وقد وجد " فيشباخ Feshbach" أن الطفل يكف عن "ثورات غضبه" "TANTRUMS" بعد الخامسة، ليستعمل الألفاظ العدوانية بدلاً عنها، وأن غضبه من الأشياء، يتسبب في عدوانه الآلي INSTRUMENTAL AGGRESSION بينما يتطور غضبه؛ بحيث يصبح نتيجة عدوان عدائي HOSTILEM AGGRESSION وليس نحو أشياء، كما كانت الحال قبل الخامسة.

ويمكن تلخيص مظاهر الغضب عند الطفل في تلك المرحلة على النحو التالي:

❖ **في سن ستة أعوام:** عدوان بالغ بالجسم وبالكلام، انفجارات في الغضب فقد يلقى بنفسه على الأرض، يضرب ويرفس وقد يدمر الأثاث والأشياء.

❖ **في سن سبعة أعوام:** سلوك أقل عدوانًا قد ينشب بينه وبين إخوته الصغار، يعترض بالكلام بقوله: ""هذا ظلم"".

❖ **في سن ثمانية أعوام:** يستجيب للهجوم أوالنقد بحساسية شديدة أكثر منه بالعدوان، اعتداؤه يندر أن يكون بالجسم، بل معظمه با لكلام، يتهرب ويتنصل من المسئوليات وقد يسب.

❖ **في سن تسعة أعوام:** العراك والضرب شائع بين الأولاد الذكور ولكن في صورة لعب، عدوان معظمه لفظي كلامي.

الأسباب والعوامل المهيئة للعدوان :

تعد "الوراثة" HEREDITY أحد أهم العوامل المسببة للعدوان، تؤكد ذلك الدراسات التي أجريت على التوائم، والتي وجدت أن الاتفاق في السلوك العدواني بين "التوائم المتماثلة" IDENTICAL TWINS، أكثر من التوائم غير المتماثلة.

كما أن شذوذ الصبغيات الوراثية CHROMOSMAL يؤثر أيضًا في ظهور العدوانيَّة، بالإضافة إلى اضطراب وظيفة الدماغ مثل النقص في نمو الجهاز العصبي.

ومن الأسباب التي تدفع الطفل إلى السلوك العدواني، والتي أسْفَرت عنها نتائج البحوث والدراسات: استخدام أساليب خاطئة أثناء التعامل مع الطفل كالمغالاة في اللَّوم، ونقده نقدًا عنيفًا في الوقت الذي يحتاج بشدة إلى التقدير والتشجيع، وكذلك عدم إحساس الطفل بوجوده الاجتماعي داخل الأسرة، أو بين أقرانه في المدرسة، أو عدم قدرته على لفت نظر مُعلِّميه ليشعروا بوجوده، وكذلك الإحساس بالظُّلم الذي يقع عليه ممَّن يتعاملون معه، والإحساس بتقييد حريته سواء أكان في ممارسته للَّعب وخاصة ما يحبه منه، أم الرَّغبة في التعبير عن ذاته والسعي لإثباتها، أو قد يكون سبب العدوان راجعًا إلى محاكاة الطفل لسلوك الأب أو الأم داخل المنزل.

كما أشارت دراسات علماء النفس في هذا المجال إلى أن ما يصدر عن الطفل من سلوك عدواني قد يكون راجعًا إلى الإحساس بالعجز أمام الأمور، التي لا يستطيع أن يفهمها، أو أن يشعر بعدم القدرة على ضبطها، أو نتيجة لجهله أو إحساسه بضآلته، أو قد يرجع إلى الخوف من المدرسة بشكل عام، أو من المُعلِّمين بشكلٍ خاص، أو نتيجة لعدم المساواة في التعامل مع الأبناء، أو بناءً على عقاب الوالدين للأبناء، أو التساهل في التعامل معهم، حيث أسفرت نتائج بعض البحوث عن أنَّ الأطفال الأكثر

عدوانًا هم الذين كانوا يعاقبون باستمرار داخل المنزل، وأنَّ عدوان الأطفال كان يزداد في حدود مَنْ سهَّل لهم الإتيان بالسلوك العدواني.

وقد يحدث السلوك العدواني من الأطفال نتيجة شعورهم بالإحباط، أو تعلُّمهم بأن تحقيق المطالب التي تخصهم لا يمكن أن تتم إلاَّ باستخدام هذا النوع من العُنف، أو نتيجة لما يحدث داخل الأسرة من توتُّرات نفسيَّة بصفةٍ مستمرَّة ودائمة، أو بناءً على ما يحدث من تذبذب السلطة الضابطة داخل الأسرة، أو عدم قدرة الأبوين على تفسير الأسباب التي من أجلها فُرضت على الأبناء قيودٌ معينة، أو أن تُحول البيئة المحيطة بالأطفال دون ممارسة النشاط الذي يرغبون فيه.

كما يؤثر انفصال الوالدين أو إصابة أحدهما بالأمراض النفسيَّة على ظهور العدوان لدى الأطفال، كذلك فإن فقر الأسرة الاقتصادي وكثرة عدد أفرادها ينمِّي السلوك العدواني. واضطراب علاقة الطفل بأمِّه، ونقص مستوى الذَّكاء، وسيطرة شخصية الأمِّ، وغياب الأب في تربية الأطفال، والشعور بالتعاسة والإحباط والشعور بالذَّنب... كلها عوامل تنمِّي العدوان عند الاطفال.

ويؤكد "محمد عبد المؤمن حسين" أن هناك أسبابًا أخرى تجعل الطفل عدوانيًا، منها: رغبة الطفل في استقلاله عن الكبار، والعقاب الذي يتوقَّعه الطفل نتيجة العدوانيَّة، والعدوان الواقع على الطفل من قبل الصغار أو الكبار، والصراعات والانفعالات المكبوتة، وعجز الطفل عن إقامة وتكوين علاقات اجتماعيَّة، والشعور بعدم الأمان وعدم الثقة وتعرُّضه لأزمات نفسيَّة.

الغضب والعدوان: ANGER & AGGRESSION

الغضب انفعال يتميز بدرجة عالية من النشاط في الجهاز العصبي السمبتاوي SYMPATHETICOTONIC، وبشعور قوي من عدم الرِّضا بسبب خطأ وهمي أو حقيقي، وحينما يتملك انفعال الغضب بالإنسان فإنه تتعطَّل قدرته على التفكير السليم، وقد تصدر عنه بعض الأفعال أو الأقوال العدوانيَّة، على أنَّ الغضب يؤدي وظيفة مهمة هي حفظ ذات الإنسان فحينما يغضب، تزداد طاقته على القيام بالمجهود العضلي العنيف ممَّا يمكنه من الدفاع عن نفسه أو التغلُّب على العقبات.

وتذهب نظرية الإحباط – العدوان FRUSTRATION AGGRESSION THEORY ومن أنصارها "دولار Dollard" و"ميللر Miller"، إلى أنَّ الغضب ينشأ كلَّما اعترض الإنسان عائق يحول بينه وبين تحقيق رغباته، ويبدأ هذا الانفعال في سن مبكِّرة حين يبدأ الطفل إحساسه بذاته وبمطالبه، وحين يحسُّ في الوقت نفسه بأنَّ مصدر إشباع حاجاته أو عدم إشباعها موجود في بيئته. ومع بداية العام الثاني، يبدأ إحساس الطفل بهذه الإشباعات التي تؤدي إلى السرور والراحة، وعدم الإشباعات التي تؤدي إلى الغضب والقلق والإحباط، وطفل ما قبل المدرسة تفرض عليه مجموعة حدود وقيود متمثلة في مواعيد الطعام والنوم واللّعب، وحين يلتحق بالمدرسة تزداد عليه القيود، فلابد من أن ينضبط ويتعاون مع الآخرين ويستمع إلى التعليمات.

ويستجيب الإنسان لانفعال الغضب بتوجيه العدوان إلى العقبات، التي تعوق إشباع دوافعه سواء أكانت هذه العقبات أشخاصًا أم عوائق مادية أم قيودًا اجتماعية، ولما كانت الحياة الاجتماعيَّة السويّة تتيح التنفيس بصورة طبيعية عن انفعالات الغضب، كان لابد أن تجد الطاقة الناشئة عن هذا الانفعال طريقًا

للخروج أو الظهور، ومن أهم الطرق التي تظهر بها هذه الطاقة ما يسميه علماء النفس "بالنقل أو الإزاحة" DISPLACEMENT؛ حيث إنه كثيرًا ما يحدث أن يُنقل الغضب أو يحول إلى أشخاص آخرين، لم يكونوا هم في الحقيقة العقبة التي حالت دون إشباع الدوافع، فقد يغضب الطفل من أبيه فينقل غضبه وعدوانه إلى أخيه الأصغر، وقد ينقل الغضب والعدوان إلى أشياء مادية فيقوم بتحطيمها، وقد يتجه إلى ذاته هو نفسه، فيقوم الفرد بالاعتداء على ذاته – SELF AGGRESSION.

وليس من الضروري أن يتلازم الغضب والعدوان، حيث يختلف الأفراد في مواجهة "الموافق المحبطة" FRUSTRATING SITUATIONS فبعضهم يستثارغضبًا فيردُّ بالعدوان، والبعض الآخر يركن إلى سلوك صامت أو إلى الانسحاب.

التوتر والعدوان: TENSION & AGGRESSION

أجرى "هوينجا Hoyenga" دراسة أشارت إلى وجود علاقة بين الكثافة السكَّانيَّة، وبالتالي التوتُّر وبين زيادة السلوك العدواني، كما أن "شوز" أجرى دراسة في الأماكن المزدحمة بالسكان، وتبيَّن له وجود ارتباطات قوية بين المعيشة في الأماكن المزدحمة وانتشار الأمراض الجسميَّة والشعور بالسخط والعداوة .

ويرى "جيرسلد Jersild" أن الأسرة كثيرة العدد يشيع فيها عدم الانسجام بينأفرادها، وكثرة الشقاق وانعدام الرقابة الوالدية والتوتُّر، وهي متغيرات ارتبطت بزيادة العدوانيَّة لدى الأطفال. وبالتأكيد فإن مثل هذه الدراسات توحي بأن التوتُّر أحد المهيئات للسلوك العدواني أو باعث عليه في كثير من الأحيان.. وقد أكد "محي الدين أحمد حسين" في دراسة له، أن هناك ارتباطًا بين التوتر والسلوك العدواني، ولقد كان هذا الارتباط من القوة بحيث أمكن على

المستوى الإحصائي استخلاص عامل من العوامل، يشكِّل قوام الظاهرة العدوانيَّة سمي "التوتر العدواني"، وربما يشير هذا المُسمَّى إلى أنَّ هناك توترًا لا يفضي إلى سلوك عدواني، وتوترًا أخر يفضي إليه، وهذا حقيقي فليس من الضروري أن يقود التوتُّر إلى هذا السلوك، بل قد يقود أحيانًا إلى نقيضه تمامًا وهو الانسحاب.

وقد كشف "تانينيوم" أنَّ التوتر من قبيل المتغيرات المهمة في إبراز السلوك العدواني، ولكن ليس بالشرط الكافي لإحداث هذا السلوك، وهذا ما أشار إليه "دورتسكي" في قوله: "إنه على الرغم من عدم ضرورة اتسام الأشخاص المستثارين انفعاليًا بالعنف والعدوان، فإنهما (العنف والعدوان) لا يحدثان إلا في حالة الاستثارة الانفعاليَّة".

الإحباط والعدوان: FRUSTRATION & AGGRESSION

الإحباط هو خيبة الأمل التي تحدث نتيجة عدم تحقيق دافع معَّين للفرد، وبمعنى آخر هو عملية تتضمن إدراك الفرد لعائق، يحول دون إشباع حاجاته أو توقع الفرد حدوث هذا العاشق في المستقبل، واذا كان الاحباط يؤدي في بعض الأوقات إلى تقوية الدافع، فإن الإحباط عادة ما يؤدي إلى العدوان. وعلى هذا فالعدوان من أشهر الاستجابات التي تُثار في الموقف الإحباطي.

ولابد أن نعلم أن العدوان المُثار في الموقف الإحباطي استجابة متعلَّمة، ولذلك فهي تتوقف على درجة الإحباط، فكلَّما كانت درجة الإحباط شديدة، كان الاستعداد للسلوك العدواني قويًا ومُلحًّا، فشدة الإحباط دالة قوية على قوة العدوان.

وتؤكد نظريَّة الإحباط - العدوان، أن العدوان أمرٌ ناجم عن الإحباط؛ أي إن الإحباط يؤدي إلى وجود دافع للعدوان، وهذا بالطبع يقود إلى سلوك عدواني مباشر، ويرى أنصار هذه النظرية أن العدوان عبارة عن ردّ فعل طبيعي لما يواجه الفرد من إحباطات متعددة، فالإحباط يولِّد طاقات في النفس من الضروري أن

تُصرف بأسلوب أو بآخر؛ حتى يشعر الفرد بالرَّاحة منها، ومن أساليب التخفف من هذه الطاقة السلوك العدواني، واعتبروا العدوان استجابة فطرية للإحباط INNATE REACTION TO FRUSTRATION، ثم تعدلت فروض هذه النظرية؛ بحيث أكدت أنَّ الإنسان قد يعتدي بالعدوان دون إحباط، وعلى ذلك فالإحباط يؤدي إلى العدوان في وجود شرطين هما:

الشرط الأول: العدوان يحدث إذا كان الإحباط يحدث بطريقة متعسفة ولا معنى لها.

الشرط الثانى: عندما يكون العدوان فعالاً في التخلص من العقبات، التي تعترض طريق إشباع الحاجات.

والإحباط لا يؤدي إلى العدوان إلا إذا كان العدوان يلقى من الوالدين أثناء عملية التطُّبع الاجتماعي شيئًا من الإثابة والتدعيم، فمثلاً إذا حدث أن كانت الأمُّ مصدرًا للإحباط بالنسبة للطفل، ثم ترتب على هذا الإحباط أن ثار الطفل فمال إلى العدوان على الأمِّ وهمَّ بالعدوان عليها بالفعل، فوجد منها تساهلاً أو ترحيبًا بهذا العدوان فإن الميل إلى العدوان يتدعّم ويقوى عند الطفل، ولهذا يؤكد "سيرزSears": أن العلاقة بين الإحباط والعدوان علاقة مركَّبة وغير مباشرة تتوقف على ما يكون بين الطفل وأمِّه من تفاعل.

وقد بينت التجارب أن الاستجابة العدوانيَّة من أقرب وأظهر الاستجابات في حالة الإحباط فيشير "سمبسون Simpson" و"ينجر Yinger" إلى إن إعاقة أو منع السلوك الموجه للهدف، كثيرًا ما يخلق بواعث عدوانيَّة في الفرد.

والعدوان يتجه غالبًا نحو مصدر الإحباط بهدف إزالة هذا المصدر والتغلُّب عليه أو كردَّ فعل انفعالي للضيق والتوتُّر المصاحبين للإحباط. ولكن العدوان لا يوجَّه دائمًا إلى مصدر الإحباط، فقد يكون هذا المصدر قويًا، أو في مركز لا يستطيع الفرد أن يوجِّه إليه العدوان مباشرة، وفي هذه الحالة فإن العدوان

يُزاح إلى مصدر آخر، يمكن للفرد معه أن يعبر عن عدوانيَّته وهو في مأمن، فالطفل الذي يواجه الاحباط نتيجة إهمال والديه له وعدم إعارته الانتباه والاهتمام الكافيين، فقد يوجِّه عدوانه إليهم بطريق غير مباشر، فقد يعصى أوامرهم، أو يشوه الحائط بالكتابة عليه، أو قد يلجأ إلى تحطيم ما تصل إليه يده من أشياء، والمُعلِّم الذي يُحبط تلاميذه فإنهم يتجهون بعدوانيَّتهم تجاه بعضهم البعض، وهل المعنى ينطبق على الطفل الذي يسرق النقود من أبويه، فربما لا يكون في حاجة إلى تلك النقود، بل يكون تعبيرًا عن الحنق والضيق والإحباط، ورغبة لاشعورية في الاعتداء على شخصيهما، وهو ما يطلق عليه "العدوان المزاح" DISPLACED AGGRESSION.

والعدوان قد يتجه أحيانًا نحو الذَّات، بحيث يميل الفرد إلى لوم نفسه، والسبب في ذلك أن أساليب التربية قد تتضمن درجة كبيرة من اللَّوم والتعنيف أو المقارنات الظالمة أو الإحساس الشديد بالنَّقص، في الوقت الذي لا يستطيع توجيه العدوان إلى الخارج (مصدر الإحباط الأصلي، أو إلى مصادر خارجية بديلة).

فمثل هذا الفرد يكون مُهيَّئًا لتوجيه عدوانه نحو الداخل، لانه يُحَدِّث نفسه بأنه الملوُم وأنه المسئول عن كل ما يحدث.

والتعلُّم السابق في حياة الطفل يؤثِّر في قوة الاستجابة للعدوان أو ضعفها أو حتى عدم وجودها اطلاقًا، فالاب قد يعلِّم أولاده أن يردوا العدوان البدني بمثله، أو أن يردوه بالاحتجاج اللفظي أو بالشكاية إلى المُعلِّم، أو بالتسامح وعدم إبداء أي نزعات عدوانيَّة صريحة.

وتعد العزلة سببًا من أسباب نشأة السلوك العدواني؛ لأنها تؤدي إلى الإحباط، يؤكد ذلك "هارتوب Hartup" و"هيمنو Himoni" في دراستهما التي نشرت عام ١٩٥٩، حيث بينت أنَّ السلوك العدواني يظهر بوضوح في

الإنسان بعد عزله عن الآخرين لمدة طويلة من الزمن؛ ذلك لأن العزلة الطويلة تؤدي إلى الإحباط، والإحباط يؤدي بدوره إلى العدوان.

الإحساس بالنقص والعدوان:

قد تخفي العدوانيَّة الشديدة وراءها إحساس دفينًا بالضَّعفِ لدى الطفل، كأن يكون مصابًا بعاهة خُلْقيَّة، أو بضعف في تكوين البنيان الجسمي، أو بمرض من الأمراض المزمنة، فيعمد الطفل بالتالي إلى استخدام العدوان كأسلوب في التعامل مع الآخرين، وذلك كوسيلة تعويضيَّة. ويؤكد "آدلر" أن الإحساس بالنقص يُشكل الدُّعامة الأساسية في السلوك الشخصي لدى الطفل والشاب على السواء، فالإحساس بالنقص يُعبِّر عنه عبر منافذ متباينة، لعلَّ من أهمها النزعة العدوانيَّة، فيكفي أن نعرف أن السلوك الإجرامي أو المنحرف يكوّنه ويدعِّمه شعور عميق بالدونيَّة، وإحساس شديد بالنقص يؤثِّر على التصرُّفات والأفعال.

الحرمان والعدوان:

ترتكز المشاعر العدوانيَّة عن طريق عامل الحرمان، الذي يعني العجز عن تحقيق وتلبية رغبات معينة، وكذلك عدم إشباع الحاجات الأولية الفسيولوجية، فحينما يُحْرَم الفرد من الطعام قسرًا يندفع بقوة نحو العدوانيَّة لإشباع هذا الدافع الفسيولوجي، حتى أن "إبراهام ماسلو" يرى في نظريته الهرمية HIERARCHY – THEORY أن سلوك الإنسان في حياتنا المدنية الحاضرة ليس محكومًا بالدوافع على الإطلاق، ولكنه محكوم بالدوافع غير المشبعة بالذات، لأنها الدوافع التي لا زالت تعمل وتوجه السلوك، فالفرد الذي يبحث عن التقدير وتأكيد المكانة الاجتماعيَّة بين أفراد المجتمع، من الطبيعي أن يكون قد أشبع الدوافع الفسيولوجية.

وعلى هذا.. فقد أصبح من المُسَلَّم به أن الكائنات البشرية في حاجة إلى

الحبّ، والإحساس بالانتماء، والتفوق، وأنها في حاجة إلى التحرر نسبيًا من المشاعر العميقة بالخوف والحرمان والذنب، كذلك الحاجة إلى الأمان الاقتصادي. وعلى هذا يتضح أنه هناك علاقة قوية بين العدوانية والحاجات التي لم تشبع، فسيولوجية كانت أم سيكولوجية.

التعزيز والعدوان:

عادة ما نلاحظ أن بعض الأطفال يعتدون على غيرهم بشدَّهم، أو جذبهم، أو ركلهم، أو الاعتداء على ممتلكاتهم. وفي بعض الأحوال نلاحظ أن مثل هذا السلوك أو غيره ما يجد تعزيزًا - وخاصة إذا حدث من بعض الأطفال أثناء زيارتهم لأحد الأهل أو الأصدقاء - حيث عادة ما يكون الوالدان في حالة من الخجل أو الاضطراب، تمنعهم من اتخاذ الأساليب التي تمنع الطفل من الإتيان بمثل هذا السلوك العدواني، أو أن بعض الآباء والأمهات يشعرون بالفرحة بأن طفلهم لديه قدرات تمكّنه من مواجهة الحياة حسب فهم الكبار لطبيعة الحياة.

وقد يحدث التعزيز لمثل هذا السلوك بناءً على أن المضيف نفسه لا يأخذ موقفًا حاسمًا من الطفل؛ منعًا لإحراج والديه بما يؤدي إلى تكرار هذا السلوك في مواقف أخرى متشابهة.

التعلم الاجتماعي والعدوان:

ترى نظرية التعلُّم الاجتماعي SOCIAL LEARNING THEORY أنَّ العدوان سلوك متعلَّم، ويعتقد أصحاب هذه النظرية أنَّ أساليب التربية والتَّنشئة الاجتماعية تلعب دورًا مهمًا في تعلُّم الأفراد الأساليب السلوكيَّة التي يتمكنون عن طريقها من تحقيق أهدافهم، وهكذا يصبح مبدأ التعلُّم هو المبدأ الذي يجعل من العدوان أحيانًا أداة لتحقيق الأهداف.

ويرى أصحاب هذه النظرية أيضًا أن السلوك العدواني ينتج عن تعلُّم اجتماعي، يعتمد على التقليد والتعزيز، كما أنَّ السلوك العدواني يُعتَبر سلوكًا

متعلَّمًا مكتبسًا لا يختلف عن أي سلوك اجتماعي يكتسبه الطفل، وهذا النمط من أنماط السلوك يعتمدُ على التعزيز المباشر لبعض أعمال الطفل العدوانيَّة التي يثابون عليها، ويعتمدُ أيضًا على التقليد الإجتماعي، عندما يكتسب الطفل سلوكًا جديدًا من خلال مشاهدتهم لسلوك أشخاص آخرين في البيئة نفسها، ويرى "باندورا Bandura" أن هناك ثلاثة مصادر يتعلَّم منها الطفل بالملاحظة السلوك العدواني، وهي: التأثير الأُسَرِي، وتأثير الأقران، وتأثير النماذج الرَّمزيَّة كالسينما و(التليفزيون).

البيئة وتدعيم نزعة العدوان لدى الطفل:

أكدت الدراسات أن الطفل الذي يتصف سلوكه بالعدوانيَّة هو طفل تربَّى في بيئة عمدت إلى تدليله وإيثاره، فاستضعف من حوله بينما أصبح هو طاغية صغيرًا. والتدليل هو أن نلبِّي رغبات الطفل المُلِحَّة وغير المُلِحَّة، فقد يرغب الطفل في تحقيق رغبة مُعيّنة قد تستعصي على قدرات والديه، وفي ذات الوقت ليست على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمية بالنسبة له؛ فإذا حقق والداه له هذه الرَّغبة تعلَّم الطفلُ أنْ يصير متجبِّرًا، فيجعل من حياته كلها مصدرًا للعدوانيَّة، كلَّما وقفت البيئة حائلاً دون تحقيق رغباته، أمَّا إذا وجد من يمنعه دون تحقيق هذه الرغبة.. فإنه سيعي ويقنع بضرورة تأجيل رغباته وحاجاته إلى حينها، وسيدرك بالقطع أن العدوانيَّة كسلوك وتصرُّف لن تحقق له رغباته ومآربه، بل قد تتسبَّب هذه العدوانيَّة في متاعب إضافية له.

ولقد أكدت دراسة "جروم Grum" أن الاتجاهات المتّسِمة بالحماية الزائدة من جانب الأُمَّهات نحو أبنائهن لها علاقة إيجابية بالسلوك العدواني لديهم، كما وجد "سيرز Sear" و"ماكوبي Maccoby" و"ليفين Levin" أن التسامح الشديد عند تعدي الطفل يتسبب في تصعيد العدوان.

وهناك بيئة أخرى يخرج منها الطفل عدوانيًا، هي تلك البيئة التي تقدِّم نماذج حيَّة كأمثلة للعدوانيَّة فتشربه اتجاهات العدوان؛ فقد أكدت دراسة "سوشاين Suchien" أن العدوانيَّة لدى الأطفال ترتبط إيجابيًا بشدة القسوة في العقاب والرفض وعدم القبول، وعدم الرِّضا من جانب الأُمِّ عن السلوكيات التي تصدر عن الأبناء.

أيضًا الأبُّ الذي ينهر ابنه ويعنِّفه ويصفه بالجبن والتخاذل لأنه لم ينتقم من غريمه بمبادلته بالصفعات أو الرَّكلات نفسها، كذلك الأب يسبُّ زوجته أمام أطفاله، فيتشرَّب الأطفال نزعات العدوان هذه.

والمشكلة الأكثر تعقيدًا هي مشكلة الدور الذي تلعبه البيئة المحيطة بالطفل في تغيير النزعة العدوانيَّة لديه، ومن أهم العوامل التي تؤثر في طبيعة التغيير هذه؛ هي درجة التوافق بين طبيعة الطفل وشخصية كل من الأبِّ والأُمِّ، فيبين "فرويد" أن الصِّراع الذي يطول مداه بين الطفل والأُمِّ حول التدريب على النظافة الشخصيَّة، وقضاء الحاجة في الفترة بين عام وثلاثة أعوام يمكن أن يَخْلُق كثيرًا من الشعور بالعداء في وجدان الطفل سريع التأثُّر، وقد يؤدي هذا إلى ظهور طفل ذي نزعة عدوانيَّة.

كما أن النزعة العدوانيَّة قد تثيرها بعض العلاقات الأخرى في محيط الأسرة، فمعظم الآباء الذين أنجبوا طفلين أو أكثر قد لمسوا أن الغيرة التي يحسها الطفل الصغير نحو المولود الجديد تثير فيه النزعة نحو العدوان. والطفل دون سن الثالثة عرضةً لأن يظهر شعوره بالعداء بصورة محتدمة نحو المولود الجديد في شكل ضرب أوركل.

وهناك أطفال تعتريهم نزعة إلى العدوان بصفة مؤقتة إثر استبداد مستمر من أحد الأطفال الآخرين، أو معاناتهم من عجز شديد في القراءة أو الكتابة في سنيهم الأولى من المدرسة. على أن غالبية حالات العدوان تبدأ من جرَّاء توتُّرات

نفسيَّة في داخل نطاق الأسرة؛ ولذلك ينبغي إيجاد حلول لها بالتخفيف من حِدة هذه التوترات.

الأسرة وتدعيم نزعة العدوان لدى الطفل:

يكتسب الطفل الميل للعدوان من الأسرة بفعل العوامل التالية:

❖ شعور الطفل منذ صغره بأنه غير مرغوب فيه من والديه، وأنه يعيش في جوٍّ أسري عدائي بالنسبة لمعاملة والديه له.

❖ الحياة المنزليَّة التي يسودها شجار دائم بين الأبوين على مرأى ومسمع من الطفل.

ويلعب الأباء دورًا كبيرًا في اكتساب الأطفال السلوك العدواني من خلال محاكاة أو تقليد (IMITATION) الأبناء للاستجابات العدوانيَّة التي تصدر عن الآباء؛ فالطفل الذي يشاهد أباه يحطّم الأشياء من حوله، عندما يتنابه الغضب، يقوم بتقليد هذا السلوك. ويرى "باندورا" Bandura أنَّ الطفل يقلِّد نماذج السلوك العدواني الصادرة عن أشخاص ذوي مراكز اجتماعية مؤثِّرة، فهناك أشخاص على درجه كبيرة من الأهمية بالنسبة للطفل مثل الوالدين والمُعلِّمين والرفاق يمكن اعتبارهم نماذج، يستقى منها الطفل سلوكه الإجتماعي بصفة عامة، وسلوكه العدواني بصفة خاصة، ومثل هذه النماذج التي يراها الطفل هي التي تعلِّم كيف ومتى يتصرف بشكل عدواني، وهؤلاء أيضًا الذين يؤيِّدون ويدعِّمون السلوك العدواني عند الطفل بحيث يتعلَّم الطفلُ السلوك العدواني، عندما تتاح له فرصة ممارسة الاستجابات العدوانيَّة ولا يعاقب على السلوك العدواني، أو إذا نجح في الحصول على مكافأة بسبب إيذاء الشخص المعتدى عليه.

ويعتقد "باندورا Bandura" أنَّ الآباء الذين يتسمون بالغلظة والقسوة مع أبنائهم يتعلَّم أبناؤهم السلوك العدواني، كما توصل أيضًا إلى أنَّ الآباء الذين

كانوا يشجّعون أبناءهم على المشاجرات مع الآخرين، وعلى الانتقام ممّن يعتدى عليهم والحصول على مطالبهم بالقوة والعنف، كانت درجة العدوانيَّة لديهم أكبر من درجة العدوانيَّة عند الآباء، الذين لم يشجعوا أبناءهم على السلوك العدواني بأي شكل من الأشكال.

وفي هذا الصدد تشير دراسة «سيرز Sears"، و"كارل سميث Carl Smith" و"كونراد Konard" إلى وجود ارتباط موجب بين عدوانيَّة الأبناء ودرجة العنف أو القسوة التي عاملهم بها الآباء والأمهات، فالأطفال الذين يتعرَّضون لرفض الوالدين ويعيشون علاقات فاترة وغير مشبعة وجدانيًا، يميلون فيما بعد إلى الظهور بالمظهر العدواني.

ويشير "جو" و"روبرت Jo & Robert" من أنَّ الطفل الذي يتلقى القليل من التقبل والمرفوض بصفة خاصة داخل الأسرة، يميل إلى القيام بالسلوكيات العدوانيَّة.

وقد استخلص كل من "سيرز Sears"، و"ماكوبي Maccoby" و"ليفين Levin" أنَّ التسامح الشديد عند تعدي الطفل يتسبَّب في تصعيد عدوانه، وأن التّسامح الزائد عند الآباء مع الأبناء، وعدم معاقبتهم على سلوكهم العداوني يجعل درجة العدوان ترتفع عند الأبناء .

وتؤكد "ليلى عبد العظيم" أنَّ أسلوب التربية للأطفال الذين يتسم سلوكهم بالعدوانيَّة، يتميَّز بالقسوة والشدَّة المتناهية والمعارضة لرغباتهم بالمنع والقهر والإجبار، وتحميلهم من المسئوليات أكثر ممَّا يحتملون وممَّا يطيقون. كما أكدت دراسة "سوشاين Suchien" أنَّ العدوانيَّة لدى الأطفال ترتبط إيجابيًا بشدَّة القسوة في العقاب والرَّفض وعدم التقبُّل وعدم الرِّضا من جانب الأمِّ عن السلوكيَّات التي تصدر من الأبناء.

كما أوضحت الدراسات ارتباط السلوك العدواني إيجابيًا بأسلوب عدم الاتساق، والذي في ظله قد يسمح للطفل بإصدار استجابات عدوانيَّة في موقف معين، ولا يسمح له بها في موقف آخر، أو قد تسمح له الأمُّ بها، ولا يسمح له الأبُ، وهذا الأسلوب يمثل مناخًا ملائمًا تمامًا للسلوك العدواني؛ فيقول "ميوسن" Mussen إنَّ أسلوب عدم الاتساق يؤدي لمشاعر الحيرة عند الأطفال حيث لا يستطيعون في ظلِّه.. التمييز بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول، كما إن هذا الأسلوب يُعدُّ - إلى جانب ذلك - بمثابة الموافقة النسبيَّة على السلوك حينًا، وإن كان هناك اعتراض عليه حينًا آخر أو موافقة أحد الأبوين، حتى وإن اعترض عليه الآخر، يُترجِمَه الطفل على أنه بمثابه درجة من درجات السماح بهذا السلوك؛ ولذا تتولد العدوانيَّة بدرجةٍ أكبر في سياق عدم الاتساق.

تأثير (التليفزيون) على تقوية نزعة العدوان لدى الطفل:

تشير إحدى الدراسات في مجال معدل مشاهدة برامج (التليفزيون) إلى أنَّ الطفل الذي تجاوز عمره سنَّ الثالثة يقضي سُدس ساعات يقظته اليومية أمام الشاشة الصغيرة، فإذا بلغ سنَّ السادسة تكون المدة التي يقضيها في متابعة برامج (التليفزيون) معادلة لتلك المدة التي يقضيها في المدرسة وقد تفوقها، وبهذا يتضح أنه من الوسائل المرئية الأكثر انتشارًا والأكثر جذبًا.

وإذا كان (التليفزيون) يقدَّم في الكثير من برامجه الخاصة للأطفال المفيد والهادف والمشوِّق، فإنه مع هذا يقدم بعض البرامج والأفلام التي قد تنمي وتقوي النزعات العدوانيَّة لدى الطفل، فيرى "نوبل Nobel" أنَّ كثيرًا من المشكلات السلوكيَّة تعتمد على أنواع السلوك التي يُشاهدها الطفل على شاشة (التليفزيون)، في حين يرى "إيرون Eron" أن الطفل يقلد تقليدًا طبيعيًا كل ما يراه من سلوك على شاشة (التليفزيون). وإذا كان الطفل يشاهد لفترات طويلة البرامج، التي تعرض فيها الجريمة والعنف.. فإنَّ الطفل منذ

سنواته الأولى سعى إلى تقليدها، ذلك أنَّ رؤية نماذج عدوانيَّة على شاشات (التليفزيون) يمكن أنْ يزيد من السلوك العدواني عند الأطفال، كما يمكن أنَّ تؤثر المشاهد الزائدة لهذه البرامج العدوانيَّة القاسية في اتجاهات الأطفال، وتؤدي بهم إلى رؤية القسوة والعنف كطرق مقبولة وفعالة لحل كثير من الصراعات بين الأفراد.

وقد أشار عديد من الدراسات إلى إمكانية وجود علاقة بين مقدار العنف الذي يشاهده الطفل، ومقدار السلوك العدواني الذي يُصدر عنه في المواقف الطبيعية؛ ففي دراسة قام بها "مكليود Mcleod"، و"أتكين Atkin" و"اتشافي Chaffee"

عام ١٩٢٧ فحصوا فيها العلاقة بين مشاهدة مشاهد عنيفة (تليفزيونية) وعدد من مقاييس السلوك العدواني، وكانت الخلاصة أنَّ الأطفال والمراهقين الذين يشاهدون مشاهد العنف الشديدة يميلون إلى أن يسلكوا بمستويات مرتفعة من السلوك العدواني، كما يرى "روبرت" و"باشن Robert & Bachen" أنَّ هناك علاقة ايجابية سببيَّة بين مشاهدة العنف في (التليفزيون) والسلوك العدواني عند الأطفال.

كذلك أكدت دراسات كل من "فشباخ Feshback" و"سنجر Singer" عام ١٩٧٠، و"ليبرت Liebert" و"بارون Baron" عام ١٩٧٢، و"فردريك Friedrick" و"ستين" Stein عام ١٩٧٣ و"جالست Galast" و"وايت White" عام ١٩٧٦، أن النماذج العدوانية التي يقدمها (التليفزيون)، سواء كانت حقيقيَّة أم غير حقيقية أم رسومًا متحركة، تزيد بشكل ملحوظ من السلوك العداوني لدى الأطفال، وأثبتت أنَّ الفرد إذا تعرَّض "لنموذج عدواني" AGGRESSIVE MODEL يعتدى أمامه، فإنه يثار نحو العدوان، ومن ثمَّ يصير أكثر عدوانًا، ومعنى هذا تقليد النموذج العداوني، ويمكن

افتراض أنَّ مشاهدة العدوان على شاشة (التليفزيون) بالنسبة لبعض الأطفال تعمل كمنفذ لتصريف أو "تفريغ" CATHARSIS الطاقات الانفعاليَّة المحبوسة، ويقصد بعمليَّة التصريف أو التفريغ هذه تطهير الذات DURIFICATION، أو توزيع الانفعالات والتخفيف من آلام التوتُّر TENSION والقلق ANXIETY؛ وخاصَّة وخاصة تلك الانفعالات التي قمعها الفرد EMOTIONS REPRESSED؛ ذلك لأن (التليفزيون) يخفض من حدة العدوان الحقيقي بتقديم منفذ خيالي VICARIOUS OUTLET.

وعن الأساس العلمي لتأثير (التليفزيون) على تقوية نزعات العدوان عند الأطفال، ترى نظرية التعلُّم الاجتماعي SOCIAL LEARNING THEORY، وعلى رأسها "باندورا Bandura" أن الطفل يتعلَّم من (التليفزيون) أساليب وطُرق العدوان أو العنف التي قد لا تأتى في مجال انتباهه، فقد يتعلَّم كيف يستخدم السكِّين في شجار، ومناظر العنف في (التليفزيون) مثيرة فهي ترفع من مستوى التوتُّر ومُستوى النشاط عند الفرد، والطفل النَّشِط أكثر قابليَّة لأن يؤذي شخصًا آخر من الطفل الهادىء، ويعتقد "باندورا" كذلك أن النشاط العدواني في برامج وأفلام (التليفزيون) يثير خيال الطفل العنيف، من خلال عملية التوحُّد، والتوحد عملية (سيكولوجية) تعني أن يدمج الطفل ذاته في ذات الشخص الذي يثير إعجابه، وخلال عملية التوحُّد هذه يكتسب الطفل أنماطًا وعادات سلوكيَّة كثيرة، فعندما يرى الطفل مثلاً أن البطل يقوم بقتل شخصيَّة شريرة في (التليفزيون)، فقد يجعل ذلك الطفل يتخيل نفسه البطل، فيقوم بمحاولة إيذاء صديقه أو أخيه الذي يعتقد أنَّه شرِّير.

وقد توصَّل "كاجان" و"موس Kagan & Moos" في الستينيات من هذا القرن إلى اكتشاف ظاهرة فريدة تسمى "التأثير النائم"، وهي تعني أنه قد

تكون هناك مؤثِّرات معيَّنة أحدثت تأثيرها في الطفل، ولكن نتائج هذا التأثير لا تظهر لنا مباشرة؛ فيظل نائمًا لفترة طويلة ينتظر عوامل خارجية أو داخلية في الطفل توقظه؛ حتى يظهر متل هذا التأثير في مرحلة المراهقة أو البلوغ.

وتوصَّل "لايبرت Liebert" عام١٩٧٣ إلى أن هناك درجة ملحوظة من الاتفاق على وجود ارتباط بين العنف المشاهد والسلوك العدواني عند الأطفال؛ فالدراسات المعمليَّة والبحوث الارتباطيَّة الحقليَّة أظهرت جميعها أن التعرض (للتليفزيون) يمكن - وغالبًا يحدث - أن يجعل المشاهد أكثر عدوانية.

حتي نقي أطفالنا مغبة السلوك العدواني:

❖ يجب ملاحظة أن الطفل إذا ما عبَّر عن غضبه في صورة سلوك عدواني، فلا يجب النظر إلى ذلك على أنَّه سلوك تدميري بل العكس، فإن العدوان صورة إيجابيه، فالعدوان - كما يرى المحللون النفسيون - مظهر من مظاهر الإيجابيَّة. وعلى الكبار ألاَّ يستخدموا العقاب البدني كوسيلة لإيقاف السلوك العداوني من جانب الطفل، فالغضب الذي يتم كفُّه خوفًا من العقاب، لابد وأن يتراكم ويشتد حتى يصل إلى الانفجار في صورة عدوانيَّة تدميريَّة.

❖ على الآباء ضرورة تفهُّم الأسباب التي تدفع الطفل - في بعض الأحيان - إلى إصدار استجابات، عدوانية؛ فمعالجة الأسباب تؤدي إلى تلاشي هذه الاستجابات، أو على الأقل تقليل احتمال حدوثها، فقد يكون السبب جسميًّا نتيجة لتعب أو مرض معين، أو نتيجة لنشاط وطاقة زائدة تحتاج إلى تصريف، وقد يكون راجعًا لنقص أو عاهة جسميَّة، وشعور بالنقص والدونيَّة أو الإحباط أو الاكتئاب أو الكبت. كما يجب بحث حالة الطفل النفسيَّة والمدرسيَّة وقدراته على التحصيل وعلاقته بوالديه ومُعلِّميه، أو كيفيَّة شغل وقت فراغه.

❖ أن يقوم الآباء والأمهات بضبط السلوك العداوني، إما بالإثابة (التعزيز)، عندما يأتي الطفل بموقف يخلو من العدوانيَّة يتفاعل فيه الطفل مع صديق له

بشكل جيد؛ فنمتدحه على حسن تعامله مع صديقه، ونقدم له إثابة كالمديح اللفظي أو أي شيء آخر يحبُّه. أما إذا ما قام الطفل بسلوك عدواني يستوجب الحزم، فيمكن للآباء استخدام أسلوب العزل لبعض الوقت TIME- OUT، وهو يعني أن يتم عزل الطفل فترة زمنية محددة قصيرة عن النشاطات الاجتماعية التي يمارسها، والتي تعتبر معززات بالنسبة له، ويعتبر هذا الأسلوب بديلاً عن أسلوب العقاب البدني.

❖ يجب على الوالدين والمربين عدم مواجهة أي نوع من أنواع السلوك، الذي يصدر عن الطفل ونَصِفَه بالعنف والعدوان بالنوع نفسه من السلوك، وإنما ينبغي مواجهته عن طريق استخدام أساليب التوجيه والإرشاد، وإتاحة الفرصة أمامه لإشباع حاجاته في وقتها المناسب وبالقدر المعقول، وإفهام الطفل أن الله سبحانه وتعالى قد وهبه دوافع تمكّنه من الدفاع عن نفسه وقت الخطر، وليس لاستخدامها في الاعتداء على الغير. كذلك عدم العقاب بالضرب أو باللَّوم الشديد، أو بالتقريع أو السخرية، أو الاستهزاء؛ من أجل تعديل بعض الأنماط السلوكية غير المقبولة اجتماعيا، لأنها قد تأتي بنتائج عكسيَّة.

❖ أنْ نوفّر لأطفالنا فرص الشكاية لما يعتمل في دواخلهم من شقاء أو إحباط، وهو ما يسمى بعملية "التفريغ النفسي" (CATHARSIS)؛ ذلك لأنَّ الإنسان المُحْبَط والذي يعاني من ضيقات نفسيَّة مُؤْلمة، إذا وجد من يسمعه وينصت إليه ويؤازره وهو يتحدث عن آلامه ومتاعبه، فإنه يشعر براحة نفسية تُصرفه عن أي سلوك عدواني مزمع القيام به.

❖ حتى نستطيع أن نقوم بتربية أطفالنا تربية صحيحة، لابد أن يكون هناك اتفاق بين الوالدين في أسلوب التعامل معهم، على أساس أن الأطفال يتميزون بطبيعة خيرة ونقية، وأن يتخذا مواقف واضحة ومحددة من الأنماط السلوكيَّة، التي يأتي بها الأطفال. لأن التناقض في الأساليب التربوية التهذيبيَّة تخلق مواقف

مُحْبطة؛ ممَّا يتسبب في احتمال ظهور الأنماط السلوكيَّة العدوانيَّة عند الأطفال، مع عدم التساهل حيال صدور أنواع من السلوك التي تشير إلى بدء ظهور النزعات العدوانيَّة؛ حتى لا يتم "تعزيز" مثل هذه الأنماط السلوكيَّة، فضلاً عن ضرورة مساعدتهم في المواقف الاجتماعية، التي يمرُّون بها بما يمكنهم من الثقة بأنفسهم والاعتداد بها دون غرور أو صلف.

❖ عدم إهمال ذات الطفل مهما كانت الأسباب أو الظروف، والعمل على إثباتها وتدعيم إحساس الطفل بأن له وجودًا وكيانًا لا يمكن إهمالهما أو الاستغناء عنهما، ومساعدته على تبديد طاقاته الكامنة، عن طريق إتاحة الفرص لممارسة أنواع مختلفة من الأنشطة.

❖ يجب ملاحظة أن أي إفراط في عقاب الطفل ذي النزعة العدوانيَّة، قد يؤدي إلى ازدياد الدافع لديه للعدوان؛ فقد أكد "سيرز": "أن أفضل الظروف لمنع العدوان عن الطفل هو تثبيطه بشرط أن نتجنب العقاب البدني على السلوك".

❖ عدم القسوة على الأبناء أو تدليلهم على نحو مبالغ فيه؛ حيث إن القسوة واللين الزائدتين تفسدانهم وتنميِّان عندهم العداوة الزائدة وسرعة الغضب؛ممَّا يفسِّد علاقتهم بأقرانهم وبأنفسهم، ومن الضروري أن نربيهم على المحبَّة والتعاون ونعوِّدهم على ضبط النفس عند الغضب والتسامح مع من أساء إليهم عند المقدرة، ولا نشجعهم على العدوان، ونعاقبهم عقاب المؤدَّب الرحيم، لا عقاب المؤدِّب الحانق.

❖ ينبغي على الوالدين والمربين مراعاة عدم الاستجابة الفورية؛ لتلبية حاجات ورغبات الطفل تحت تهديد الصراخ أو البكاء، مع عدم إشعار الطفل بأنه ليس لديه القدرة على إحراز النجاح عند الإقبال على موقف، يحتاج إلى جهد معين، وكذلك عدم التعرض لممتلكاته (أدوات أو لُعب)، أو الحيلولة بينه وبينها بهدف الخوف الشديد على تبديد وقته؛ للاستفادة به في مجال آخر قد يتصوَّرون أنه

الأفيد.

❖ لا يجوز الإكثار من التدخل في أعمال الأطفال، أو تحديد حركتهم، أو إرغامهم على الطاعة العمياء بمجرد الطاعة، وإنَّمَا يجب أن يكون تدخل الآباء تدخلاً مرنًا بأسلوب التوجيه.

❖ لا يجوز إظهار الأطفال بمظهر العجز أو الاستهزاء بهم أو السخرية منهم أو إذلالهم أو كبتهم أو تخويفهم أو العمل على تهدئتهم بالعنف والشدة؛ فالسماح لهم بالتعبير عن انفعالاتهم العنيفة - أحيانًا - يعتبر أمرًا صحيًّا.

❖ إتاحة الفرص أمام الأطفال لممارسة أنواع النشاط الحركي، الذي يتفق ومراحل النمو المختلفة، دون أي نوع من أنواع الضغط أو التدخل لممارسة نوع معين من اللَّعب غير المحبب للطفل، وأن نوفر لهم فرص القراءة الحرة والرسم والتعبير الفني كوسائل تعبيرية يتسنى بواسطتها لهؤلاء الأطفال تفريغ الشحنات الانفعاليَّة الداخليَّة .

❖ يمكن للآباء مشاهدة العروض (التليفزيونية)، التي تتسم بالعنف والعدوان؛ حتى يتمكنوا من مساعدة الطفل، لكي يستطيع أن يميِّز بين العنف الواقعي والعنف الخيالي تمييزًا، يربط بين النواتج السَّيئة للسلوك العدواني والسلوك نفسه، وليفهم كذلك الدوافع وراء العدوان، وأنْ تقدم معايير وتوجيهات أخلاقيَّة يمكن للطفل بواسطتها أن يقوِّم وينقد ما يقدم على شاشة (التليفزيون)، على أن يوضح له بأن ما يشاهده هو مجرد تسلية خيالية لا تمثل نموذجًا صادقًا لعالم الواقع.

❖ يجب العناية بالفقرات الأجنبية، التي تظهر على شاشات (التليفزيون) واختيارها بدقة شديدة؛ لأنها يمكن أن تُغرِق أطفالنا فيما لا يفيد، أو قد تؤدي إلى تثبيت قيم ومفاهيم خاطئة تُضُّر بهم، علمًا بأنه قد كثرت الخرافات

والمشاهد العنيفة في البرامج الموجَّهة للأطفال.

كما يحظر تقديم المعلومات والأفكار بطريقة خاطئة، وألاَّ تتضمن البرامج ما يؤدي إلى تعليم الأطفال وساثل مبتكرة لارتكاب الجرائم، يُمكن تقليده من قبَل الأطفال، حتى ولو انتهى البرنامج مثلاً بإدانة المجرم والتنديد بالجريمة، خاصة ويؤكد علماءُ النفس أنَّ هناك علاقة ارتباط بين ازدياد البرامج المليئة بالسلوكيات الإجرامية وأعمال العنف، وازدياد الأساليب السلوكيَّة العدوانيَّة من قِبَل الأطفال والمراهقين.

opeikandl.com